

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

"الدلالة الزمنية للفعل في القرآن الكريم" موضوع ظل يشد انتباهي منذ سنين خلت، فقد كنت أجد للصيغ الفعلية الواردة في القرآن الكريم وضعا زمنيا خاصا، لم يتطرق اليه النحاة والمفسرون. وكنت أحس أن أزمنة الفعل القرآني، أغنى، وأوسع من أن تحيط بها دراسة عاجلة أو إشارة عابرة مما كتب في هذا الموضوع.(1).

ويقدر ما كان حماسي كبيرا لإنجاز بحث في الموضوع، بقدر ما كنت أجد من يشنني عن هذا العزم، تهيبا من صعوبة الموضوع، وإشفاقا علي من المخاطر والمزالق المحدقة بموضوع في مثل هذا العمق والجدة(2).

وظلت هذه الرغبة فكرة وجبهة تعيش وتنمو مع الزمن في خاطري الى أن كان اتصالي بالاستاذ الدكتور رمضان عبدالنور الذي اقتنع بالموضوع بعد مناقشة فاحصة، وجلسات طويلة.

وأشهد أنه كان لاستاذي الدكتور /رمضان عبد النور/ فضل إقباله على الموضوع، واطمئناني الى ما اخترت.

والحقيقة أن مهمتي في هذا البحث لم تكن سهلة، بل كانت مهمة شاقة عسيرة تتطلب كثيرا من الصبر والدرس، والاطلاع، فالموضوع جديد غير مطروق فيما نعلم، والقرآن- وهو مصدر هذا البحث- آية من آيات الله الدالة

1 - كتب الاستاذ حامد عبدالقادر في "الماضي والمضارع في القرآن الكريم" في مقالتي اثنتين لا غير وهذا في مجلة مجمع اللغة العربية ج 1/1958، ج 13/1961.

2 - من بينهم الاستاذ الدكتور عبده الراجحي الأستاذ بجامعة الاسكندرية، والاستاذ الدكتور أحمد صفوت مرسى (جامعة الزقازيق) وزملاء آخرون في جامعة وهران.

على إتقان صنعه نظاما، وبيانا، واعجازا، ولم يكن من اليسير فهم معانيه وإدراك مراميهِ البلاغية كما لم يكن من السهل دراسة الاستعمال القرآني لأزمنة الفعل بكل تقاطعاتها، وإيحاءاتها وملابساتها.

يرمي هذا البحث -إذن- إلى إبراز بعد الزمن في السياق القرآني من خلال دراسة الصيغ الفعلية الواردة فيه، إذ وجدت أن المكتبة القرآنية في حاجة إلى دراسات تطبيقية، تهدف إلى تبيان الدلالات الزمنية المختلفة التي تضمها النص القرآني.

فلقد تناول النحاة والمفسرون والفقهاء زمن الفعل في اللغة العربية إلا أنهم جميعا لم يعنوا به قدر عنايتهم بالجوانب اللغوية الأخرى لأنه لم يكن من طبيعة علمهم أن يتناولوا الزمن اللغوي وحده فيدرسونه دراسة شمول، وعمق واستقلال، أو يعنوا بتطبيقه على النصوص القرآنية.

وإذا كانت الدراسات اللغوية الحديثة قد بدأت تهتم بعض الاهتمام بالجانب الزمني في اللغة العربية فإنها مازالت دراسات نظرية تطفو على سطح الجملة دون الغوص في النص لتبين كيف يعمل الزمن عمله في التركيب والسياق.

ولعل أهم ملاحظة توجه إلى من تصدوا لهذا الموضوع، وهي أنهم أغفلوا الزمن السياقي الداخلي الذي يسري في الصيغ المفردة والمركبة وما له من أثر في توجيه المعنى الزمني للصيغة. لذلك كان على هذه الدراسة أن تربط بين الزمنين، الزمن الداخلي، والزمن الخارجي عند تناول التركيب اللغوي في النص القرآني.

ولتحقيق هذه الغاية، عمل البحث على رصد الفعل القرآني ودراسة دلالاته الزمنية ضمن السياق العام الذي يرد فيه الفعل عندما يكون صيغة مجردة

وعندما يأتي صيغة مركبة، وبذلك لا تكون دراسة الجوانب النحوية والصرفية للفعل في هذا البحث إلا جزءاً من الجوانب الدلالية الأخرى التي التمسناها في القرآن نفسه، ثم في كتب التفسير، واللغة، أي أن هذه الدراسة تقوم على الاتصال المباشر بلغة النص القرآني، وملاحظة سلوك زمن الفعل فيه مع مراعاة الأمور التالية :

- (1) الاعتماد على النص القرآني لمعرفة السياق الذي يرتبط به الفعل.
 - (2) الاعتماد على كتب التفسير لفهم مدلول الفعل الزمني من خلال فهم المعنى العام للنص.
 - (3) دراسة الصيغ الفعلية والأدوات الداخلة عليها لما لها من آثار في التعبير عن الزمن.
 - (4) الاستفادة من التراث النحوي القديم ومن النظريات اللغوية الحديثة عند دراسة الجوانب الزمنية للفعل.
- أما المنهج الذي عالجته فيه هذا الموضوع، فهو منهج يقوم على الوصف والاحصاء والاستقراء والاحتكام إلى الأساليب القرآنية مما مكن هذه الدراسة من عرض وتحليل قدر كاف من أنماط الصيغ والتراكيب الفعلية في القرآن والانتهاج إلى نتائج قد تضيي قيما دلالية جديدة لما نعرفه الآن عن البعد الزمني في لغة القرآن.

يقع البحث في أربعة أبواب واثنى عشر فصلا :

جعلت الباب الأول خاصا لمصادر هذا البحث، فكان الفصل الأول منه لدراسة زمن الفعل عند المفسرين حيث بين أن المنهج اللغوي في التفسير هو المعول

عليه في دراسة زمن الفعل وعرضت الخصائص التي يقوم عليها هذا المنهج في التفسير، كما عرضت نماذج من دراسة المفسرين لزمن الصيغة الفعلية مجردة ومركبة.

وانصرف **الفصل الثاني** لتقويم منهج الأصوليين في دراسة زمن الفعل حيث بين الآراء التي انفردوا بها في امكانات الصيغة للتعبير عن الزمن كما عرض هذا الفصل نماذج من تطبيقاتهم لزمن الصيغة في النصوص الفقهية.

أما الفصل الثالث : فقد عرض دراسة زمن الفعل عند النحاة حيث بين أن قدامى النحاة لم يجعلوا زمن الفعل حبيس الصيغة، كما لم يجعلوا دلالة الفعل مقصورة على الأثر الذي يحدثه فيما بعده (كما زعم بعض المفسرين، وبعض النحاة المحدثين)، اذ جعلوا التعبير عن الزمن موكولا لصيغة الفعل وللقرائن التي تسبقه، أو تلحقه، على نحو ما بينته التعاريف والأمثلة التي خلفها قدامى النحاة لصيغة الفعل مثل سيبويه والمهرد، والزمخشري....، وقد وقف هذا الفصل وقفات مع النحاة عند صيغة فعل الأمر ودلالاتها الحقيقية عن الزمن.

واختص **الباب الثاني** بالدلالة الزمنية للصيغ المجردة في القرآن الكريم في **الفصول الثلاثة : فَعَلَ، يَفْعَلُ، افْعَلْ** حيث احاط هذا الباب بكل المراحل الزمنية بنسبها المتفاوتة التي تدل عليها هذه الصيغ وهي مجردة من الادوات حيث كشفت الاحصاءات عما لهذه الصيغ من طاقة تعبيرية عن الزمن وأنها لا تكتفي بالدلالة على الازمنة الثلاثة الكبرى، وانما تدل على أزمنة شبه متفرعة عنها.

ولقد انفرد **الفصل الثالث** من هذا الباب بالكشف عن الدلالات الزمنية

المتعددة لصيغة **افعل** في القرآن الكريم في ضوء السياق القرآني الذي ترد فيه.

وفي الباب الثالث درس **الفصل الأول** : الدلالات الزمنية المختلفة التي تعبر عنها الصيغة مع كان ومركباتها، ومشتقاتها، حيث أبرز هذا الفصل المراحل الزمنية المختلفة التي تدل عليها كان ومركباتها ومشتقاتها، كالماضي القريب، والماضي البعيد، والماضي الأبعد، وماضي المستقبل... الخ.

ودرس **الفصل الثاني** دلالات الصيغة مع النواسخ الاخرى، حيث تبين أن لكل ناسخ من هذه النواسخ لونا زمنيا خاصا تضيفه على الصيغة فتدل تارة على التحول من حالة الى حالة، وتارة على مرحلة زمنية من النهار أو الليل، وتارة أخرى تدل على استمرار الفعل أو ملازمته في النهار.

وانصرف **الفصل الثالث** لدراسة الدلالات الزمنية الذاتية للنواسخ، فاذا هو يكشف أسراراً زمنية ذاتية في هذا النواسخ مما مكن من تحليل نماذج كافية لنواسخ الجملة الاسمية والوقوف عند أبعادها الزمنية الخاصة التي أغفلها الدارسون.

أما **الباب الرابع** فقد درست فصوله الثلاثة الدلالات الزمنية المتعددة التي تضيفها أدوات الشرط والنفي والاستفهام وأدوات أخرى على الصيغة حيث وجد أن من هذه الأدوات ما يحول زمن الصيغة من الماضي الى المستقبل، كأدوات الشرط، وغيرها، ومنها ما يحولها من الحاضر والمستقبل الى الماضي، ك: **لم، لما، اذ،** ومنها ما يثبت الصيغة في دلالتها الأولية كـ **بعض** أدوات النفي والاستفهام، ومنها ما خرج عن النطاق الدلالي الزمني الذي أقامه لها النحاة كـ **دلالة** أدوات الشرط على الماضي. أو **دلالة** اذ على الاستقبال أو **دلالة** اذ على الماضي.

وبعد ...

فانه لمن أسباب توفيق هذا البحث أن قبض الله للاشراف عليه عالما من أبرز علماء المدرسة اللغوية الحديثة، ومن أكثرهم بحثا وتأليفا في المجالات اللغوية الحديثة، هو الاستاذ الدكتور رمضان عبدالنواب أستاذ علوم اللغة بكلية الآداب جامعة عين شمس (القاهرة) الذي بذل جهدا صادقا مخلصا في توجيه مسار هذا البحث.

ولن أستطيع بكلمات أن أوافيه حقه فيما تفضل وأجزل العطاء فأرجو الله مخلصا أن يجزيه الجزاء الأوفى.

وأقدم في ختام ذلك بوافر الشكر الى الأخوة زملاء الذين قدموا لي يد العون في تهيئة هذا البحث بكل ما يملكون من مصادر أو ما يحسنون من تقنيات الطبع والاخراج، فجزاهم الله عني أحسن الجزاء.

وختاماً أتقدم بهذا البحث وأزجى أمامه الاعتذار عن الهفوات والأخطاء، وجل من لا يخطئ.

بكري عبدالكريم